# دراسة المنهج النفسي في أسرار البلاغة

**الدكتور بهزاد حشمتي**
**أستاذ مساعد في قسم المعارف والثورة الإسلامية ، الجامعة العليا للدفاع الوطني الإيراني ، إيران**
sbuoman@gmail.com
**الدكتور محمد حسن دهقان**
**أستاذ مساعد في قسم المعارف والثورة الاسلامية ، الجامعة العليا للدفاع الوطني الإيراني ، إيران**
Dehghanjamali@gmail.com

# A study of the psychological approach in the secrets of rhetoric

**Dr. Behzad Heshmati**
**Assistant Professor, Department of Knowledge and Islamic Revolution, Supreme National Defense University of Iran, Iran**
**Dr. Muhammad Hassan Dehghan**
**Assistant Professor, Department of Knowledge and Islamic Revolution, Supreme National Defense University of Iran, Iran**

**الملخص:-**

بما أن النقد والبلاغة العربية متداخلان الي درجة كبيرة وكان النقد والبلاغة صنوين لايفترقان في بداياتهما ومراحل تطورهما فنستطيع أن نجد بعض الملاحظات النقدية في المؤلفات البلاغية؛ إن كتاب أسرار البلاغة يعتبر من أهم الكتب البلاغية والنقدية، ومن أدق الكتب باللغة العربية في الحديث عن ضروب البيان، وفيه من التفسيرات الجمالية ما يدل على ذوق نقدي أصيل، حاول عبدالقاهر الجرجاني أن يرجع الاعتبارات النقدية المختلفة إلي أسس عامة في نظم الكلام وتأثيره في النفوس وأن يجعل من هذه الأسس قواعد وأصولا لهداية الذوق العربي؛ فكانت الأساس الذي اعتمده في أسرار البلاغة لوضع قواعد نفسية جديدة وقواعد اسلوبية اتضحت في تطبيقاته العملية التي تعين علي فهم النص. إن كتاب أسرار البلاغة رسالة نفسيّةٌ ذوقيّةٌ في نواحي التأثير الأدبي، فكرتها الرئيسية، هي: أن مقياس الجودة الأدبية تأثير الصور البيانية في نفس متذوقها لذلك دخل بكتاب «أسرار البلاغة□ في المنهج النفسي، فقد اتجه فيه إلي إقامة البلاغة علي أسس نفسية فمنهجه نفسي وقائم علي مكانة الذوق والطبع والحس الفني في المتعة الأدبية. هناك دراسات عديدة قامت بالبحث في آثار عبدالقاهر الجرجاني وتحديداً في جوانب مختلفة من كتاب أسرار البلاغة ولكنها لم تعالج المنهج النفسي بصورة خاصة، لذلك ستتناول هذه العجالة منهج عبدالقاهر النفسي في كتاب أسرار البلاغة والمنهج الذي يعالج فيه موضوع البحث، فهو منهج وصفي تحليلي نقدي.

**الكلمات المفتاحية** : البلاغة ، النقد ، عبدالقاهر ، أسرارالبلاغة ، المنهج النفسي .

**Abstract:-**

Since Arabic criticism and rhetoric are intertwined to a large extent, and criticism and rhetoric were synonyms that are inseparable in their beginnings and stages of development, we can find some critical notes in the rhetorical literature; The book Asrar Al-Balaghah is considered one of the most important rhetorical and critical books, and one of the most accurate books in the Arabic language in talking about the types of eloquence, and it contains aesthetic interpretations that indicate an authentic critical taste. And to make of these foundations rules and principles to guide the Arab taste; It was the basis that he adopted in the secrets of rhetoric to develop new psychological rules and stylistic rules that became clear in his practical applications that helped to understand the text. The book "Asrar Al-Balaghah" is a psychological treatise on the aspects of literary influence. Its main idea is: that the measure of literary quality is the effect of graphic images on the soul of its connoisseur. Therefore, he entered the book "Asrar Al-Balaghah" in the psychological approach. On the place of taste, temperament, and artistic sense in literary pleasure. There are many studies that have researched the works of Abd al-Qaher al-Jurjani, specifically in the various aspects of the book Asrar al-Balaghah, but they did not deal with the psychological approach in particular.

**Key words** : rhetoric , criticism , Abdul Qaher , secrets of rhetoric , psychological approach .

## المقدمة:

من الصعب الفصل أو التمييز بين النقد والبلاغة العربية في بداياتها ومراحل تطورهما لأنهما امتزجا امتزاجا تاما مع البعض ويكمل بعضه البعض الآخر " ولعل من أسباب ذلك أن النقد لم يظهر – عند ظهوره – علمًا مستقلاً بنفسه، ولم تظهر البلاغة – عند ظهورها – علمًا مستقلاً بنفسه، وربما لم يظهرغيرهما علمًا مستقلاً بنفسه أيضًا؛ وذلك يعود إلى طبيعة التأليف في العلوم في المرحلة الأولى التي تم فيها تثبيت المعالم الأولية لكل علم." (الكواز، ٢٠٠٦م: ٢٠٠) فنجد أن العلمين متداخلان الي درجة كبيرة وكان النقد والبلاغة صنوين لايفترقان " وأن البلاغة العربية كانت كلمة رائعة علي لسان ابن الصحراء وأن النقد كان حكما علي الكلمة البليغة أطلقه سامع متذوق و إن تلك الأحكام التي أطلقها أصحابها المتذوقون من خطباء وشعراء هي النواة الأولي التي نمت وربت وآتت أكلها فيما بعد في كتب اللغة والأدب والنقد والبلاغة وشروح الشعر حيث عاشت البلاغة ملازمة للنقد و حيث نما النقد مستعينا بما عرفوه من مقاييس الفصاحة وفنون البلاغة"(سلطان، ٢٠٠٨م:٣) فكان النقد نقداً بلاغيًا، والبلاغة بلاغة نقدية فاذا كان النقد هو الجانب التطبيقي للنص الأدبي فإن البلاغة هي الأساس النظري له (نفسه:٤) فـ" النقد. .. هو المنبع، وهو الأساس الذي استقت منه وقامت عليه قواعد البلاغة، وإذا كان هدف النقد البحث عن الجمال، ومحاولة إحصاء مظاهره، والإشادة به، وذكر القبح في معرض التنديد به والتحذير منه، فإن البلاغة هي ثمرة هذا البحث، ومجتمع مظاهر الجمال، صيغت في فصول وأصول وقواعد، لكنها ليست قواعد قد سنها الفكر أولاً؛ ليجري عليها الأدب، بل إن طبيعة الأدب موجودة من قبل." ( طبانة، ١٩٧٤م:ص ١٨، ١٩) الناقد يستشهد بالأساليب البلاغية و المشتغل بعلوم البلاغة يستعين بالآراء التي توصل الناقد البصير فكلاهما يصّب في ماعون الآخر دون أن يشعر القارئ بالفرقة بينهما لأن هدف كل منهما الوصول الي العبارة السليمة البليغة ووسيلة التعرف اليها" (سلطان، ٢٠٠٨م:٥) أخذ النقد الأدبي التراثي ينمو ويتطور ابتداءً من أواخر القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي)، و ظل النقد ملازما ومتصلا بعلم البلاغة في القرن الثاني وطوال القرنين الثالث والرابع الهجري.ففي القرن الثاني نجد ملاحظات نقدية متفرقة علي غير نظام أو قاعدة في كتب ابن سلام والجاحظ و ابن قتيبه و المبرد. (مناع، ١٩٩٤م: ص١٣٩)

التداخل والتمازج بين النقد و البلاغة واضح في أقدم المؤلفات ولكن ليس الي الحد الذي ينفصل فيه عن الأدب ويستوي علماً قائماً بذاته و أوضح أمثلة لذلك كتاب (عيار الشعر) لابن طباطبا (٣٣٢ه.) و (العقد الفريد) لابن عبد ربه (٣٢٧ه.) (نقد الشعر) لقدامة بن جعفر (٣٣٧ه.) الذي يجده قارئه مناصفة بين قضايا النقد ومسائل البلاغة و (الأغاني) لأبي الفرج الأصبهاني (٣٥٦ه.) و (الموازنة) للآمدي (٣٧١ه.) و(الوساطة) للجرجاني (٣٩٢ه.) وكذلك الأمر عند أبي هلال العسكري (٣٩٥ه.) في كتابي الصناعتين و ديوان المعاني. (عتيق، ١٩٧٢م:ص ٣٥) (مناع، ١٩٩٤م: ص١٣٩)

يعد القرنان الهجريان – الرابع و الخامس- مرحلة خصبة في تاريخ البلاغة العربية، وفي الدراسات القرآنية والنقدية؛ حيث كثرت المؤلفات البلاغية و النقدية ونضجت نظريات العلماء في هذا الصدد وبفضل جهود هؤلاء العلماء الأدباء وغيرهم من معاصريهم أخذ النقد ينزع نحوالاستقلال من ناحية و يمهد لوجود البلاغة العربية من ناحية أخري، النقد التراثي بلغ ذروة شاهقة في القرن الخامس الهجري، وذلك على يد عبد القاهر الجرجاني الذي (٤٧١ه.) أنجز كتابين نادرين في مضمار الدراسات الأدبية والتقط الكثير من ملاحظات سابقيه النقدية وأقام عليها أساس علم البلاغة في كتابيه «دلائل الاعجاز» و «أسرار البلاغة» . (عتيق، ١٩٧٢م:ص ٣٥)

**عبدالقاهر الجرجاني:**

هو أبوبكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجاني، ولد في مطلع القرن الخامس للهجرة في جرجان سنة ٤٠٠ه، وتوفي سنة ٤٧١ه،. يعد الجرجاني من أعظم علماءاللغة في تاريخ الثقافة الأدبية العربية، فهو واضع علم البلاغة باعتراف غير واحد من العلماء، يقول صاحب الطراز« وأول من أسس من هذا العلم قواعده، وأوضح براهينه وأظهر فوائده، ورتّب أفانينه، الشيخ العالم النحرير علم المحققين؛ عبدالقاهر الجرجاني...»(العلوي، ١٤٢٩ه،ج١،ص٤)

**أهم كتبه:**

دلائل الإعجاز: تحدث فيه عن نظرية النظم محللاً نماذج من روائع الأدب مبيناً الفروق بين الأساليب من حيث وجهة رأيه في النظم.

أسرار البلاغة: عرض فيه أصول البيان و اختلاف أساليبها من حيث النظم والصياغة والتصوير.

بما أن كتاب أسرار البلاغة يعتبر من أهم الكتب البلاغية والنقدية تركز هذه المقالة علي منهج عبدالقاهر النفسي في النقد وتحاول هذه العجالة أن تبين منهجه من خلال آراء النقاد والأدباء المختلفة وتأتي ببعض النماذج من ذلك وإن جهودنا في هذا البحث تكرس علي دراسة تحليلية توصيفية منتهجاً النهج النقدي.

**الدراسات السابقة:**

هناك دراسات عديدة قامت بالبحث في آثار عبدالقاهر الجرجاني وتحديداً في جوانب مختلفة من كتاب أسرار البلاغة ولكنها لم تعالج المنهج النفسي بصورة خاصة، منها:

"من الوجهة النّفسية في دراسة الأدب ونقد" لمحمد خلف الله؛ دعا فيه إلى ضرورة الإفادة من نظريات علم النّفس في تفسير الأدب وفي الفصل الثاني يتحدث عن عبدالقاهر الجرجاني ونظريته النفسية؛ لم نوفق في الحصول علي الكتاب بل اطلعنا علي مقدمته البسيطة وفهرست الفصول من خلال بعض المواقع الإلكترونية. كتاب "البلاغة والنقد؛ المصطلح والنشأة والتجديد" لمحمد كريم الكواز؛ يتحدث عن العلاقة والامتزاج بين البلاغة والنقد مشيراً الي المناهج المختلفة ولكن لم يتم تناول موضوع بحثنا. "بدايات في النقد الأدبي"، لهاشم صالح مناع؛ يدرس المحاولات النقدية وبعض مباحث النقد والبلاغة والعوامل التي ساعدت علي تطورهما و يتحدث عن امتزاج موضوعية المقياس الفني بالذوق العربي المدرك لخصائص الأسلوب العربي و طبيعة النفس العربية ومميزاتها. و كتاب آخر هو " في النقد الأدبي" لعبدالعزيز عتيق؛ يشير اشارة عابرة في احدي فصول الكتاب الي منهج عبدالقاهر النفسي في كتاب أسرار البلاغة. وبعد ذلك، اطلعنا علي عدة مقالات علمية في بعض الدوريات العربية ومنها: مقالة "الأسلوب في أسرار البلاغة" لتوفيق ابراهيم صالح؛ نشرت هذه المقالة في مجلة الاكاديمية الأدبية العراقية وتشير خلال بحثها الي المنهج النفسي في كتاب أسرار البلاغة ولكنها لم تعالج الموضوع بصورة وافية وشاملة. و هناك مقالة أخري تحت عنوان "ملامح التجديد في منهج البحث البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني" لفاتح حمبلي؛ نشرت هذه المقالة في موقع ريسرش قيت و تتطرق خلال البحث في عدة جملات بالمنهج النفسي. وهذا كل ما حصلنا عليه من المصادر والمراجع ذات الصلة بموضوع البحث والله أعلم.

**المنهج:**

المنهج بوصفه إطارا علميا يساعد على كشف جماليات النصوص وفهم مكوناتها وأبعادها الدلالية هو:«طريقة في البحث توصلنا إلى نتائج مضمونة أوشبه مضمونة في أقصر وقت ممكن، كما أنه وسيلة تحصن الباحث من أن يتيه في دروب ملتوية من التفكير النظري." (الجيلالي،٢٠٠٤م:ص٢٠) تعد المناهج النقدية وسيلة لسبر أغوار الأعمال الأدبية و تعددت المناهج التي يتكئ عليها النقاد في تقويم النص الأدبي وتحليله وتفسيره ودراسته.

المنهج النفسي النقدي في أبسط تعريفاته هو: «ذلك المنهج الذي يخضع النص الأدبي للبحوث النفسية، ويحاول الانتفاع من النظريات النفسية في تفسير الظواهر الأدبية، والكشف عن عللها وأسبابها ومنابعها الخفية وخيوطها الدقيقة، وما لها من أعماق وأبعاد وآثار ممتدة» (محمص، ٢٠٠٠م،ص٨٨)

فكان ابن قتيبة من أوائل من تلمس البواعث النفسية في الشعر بين النقاد، فنراه يطرح العوامل النفسية التي تختفي وراء العمل الأدبي والمنحصرة في إطار الباعث الشعوري كالغضب والطرب والشوق والحالات الشعورية الأخرى ليس أكثر، يقول: «وللشعر دواعٍ تحث البطيء وتبعث المتكلف، منها الطمع، ومنها الشوق، ومنها الشراب، ومنها الطرب، ومنها الغضب»(الدينوري ،١٤٢٣ق، ج١،ص٧٨) ، ويقول في الأوقات والأماكن التي يسرع فيها أتيُّ الشعر، ويسمح فيه أبِيِّه: « منها أول الليل قبل تغشى الكرى، ومنها صدر النهار قبل الغداء، ومنها يوم شرب الدواء، ومنها الخلوة في الحبس والمسير، ولهذه العلل تختلف أشعار الشاعر ورسائل الكتاب » (المصدر السابق)

فإن في تحديد ابن قتيبة لحالات جيشان النفس بالشعر وتدفقه يكشف عن خبرة بأحوال النفس يصعب على من لم يجربها الوصول إليها.

أما القاضي الجرجاني فقد ذهب إلى أبعد من هذا في تحليله الملكة الشعرية وإرجاعه إياها إلى عواملها المختلفة من طبع ورؤية وذكاء، وأن اختلاف الشعر يرجع إلى اختلاف طبائع الشعراء أنفسهم، فلابد لدمث الخلق من أن يكون سلسَ الكلام، وللجافي الجلف كزُّ الألفاظ ، معقد الخطاب: «وقد كان القومُ يختلفون في ذلك...فيرقّ شعرُ أحدهم، ويصلُب شعرُ الآخر، ويسهل لفظُ أحدهم، ويتوعّر منطقُ غيره؛ وإنما ذلك بحسَبِ اختلاف الطبائع،

وتركيب الخلْق؛ فإن سلامةَ اللفظ تتبعُ سلامة الطبع، ودماثة الكلام بقدر دماثة الخِلقة (القاضي الجرجاني،١٩٦٦م:ص٥٠)

ولعبد القاهر الجرجاني وقفات ونظرات في أثر الشعر على النفس، من ذلك ربطه بين مزية النص ولطفه وبين مايتسم به من غموض وبعد عن المباشرة يبعثان في النفس دواعي الحنين إليه والرغبة في نيله، لا لشيء إلا لتمنعه عن الانكشاف السهل المباشر، يقول في أسراره: «من المركوز في الطبع أن الشيء إذا نيل بعد الطلب له أو الاشتياق إليه، ومعاناة الحنين نحوه، كان نَيله أحلَى، وبالمزيَّة أولى، فكان موقعه من النفس أجلّ وألطف، وكانت به أضَنّ وأَشْغَف» (عبدالقاهر الجرجاني،٢٠٠٩م،ص١٣٩٣) .

ويوافق الماوردي الجرجاني بقوله: « أن المحجوب عن الأفهام كالمحجوب عن الأبصار فيما يحصل له في النفوس من التعظيم، وفي القلوب من التفخيم، وما ظهر منها ولم يحتجب هان واسترذل» (الماوردي، ٢٠٠٧م،ص٧٣)

حاول عبدالقاهر الجرجاني أن يرجع الاعتبارات النقدية المختلفة إلي أسس عامة في نظم الكلام وتأثيره في النفوس وأن يجعل من هذه الأسس قواعد وأصولا لهداية الذوق العربي ( خلف الله، ١٩٧٠م:مقدمة كتاب من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده)

الدكتور محمد خلف الله يعتقد بأنه "لن يتسني التحرر من نير البلاغة الشكلية، والعودة بالنقد العربي إلي وظيفته الجوهرية (من حسن فهم للنص الأدبي، وخضوع لنواحي تأثيره ومشاركة لمنشئه في تجربته، وادراك لما بين الأدب والحياة من صلات) إلا علي أساس من فلسفة ذوقية نفسية شاملة تنير السبيل أمام الناقد، وتوسع آفاقه و تعيد للتجربة الأدبية طابعها الأنساني الأصيل." ( خلف الله، ١٩٧٠م:المقدمة) ولم يقتصر الدّارس على التّنظيم لدعوته، وإنّما طبّقها على النقد العربي القديم ليمتح منه بعض الارهاصات السيكولوجيّة. فقد انتهى في مبحثه "عبد القاهر الجرجاني وسيكولوجية التأثير الأدبي إلى أن كتاب "أسرار البلاغة" "رسالة" نفسيّةٌ ذوقيّةٌ في نواحي التأثير الأدبي، فكرتها الرئيسية، هي: أن مقياس الجودة الأدبية تأثير الصور البيانية في نفس متذوقها ( خلف الله ،١٩٤٧م، ص: ١٥٤)

لم يخل النقد العربي من بعض النظرات الحاذقة التي تدل على خبرة عميقة بالنفس الإنسانية ومدى تأثرها بالشعر.فتعريف العرب للبلاغة أنها مطابقة الكلام لمقتضى الحال .

ومقتضى الحال بالضرورة يعد أمرًا نفسيًا محضًا. كما أن البلاغة تعني - في حد ذاتها - الوصول إلى نفس المتلقي.

يعتبر أسرار البلاغة من أوائل كتب النقد التي وردت فيها إشارات إلى المنهج النفسي "دلائل الإعجاز احتوت علي القواعد الفنية والجمالية للبلاغة فكانت الأساس الذي اعتمده في أسرار البلاغة لوضع قواعد نفسية جديدة وقواعد اسلوبية اتضحت في تطبيقاته العملية التي تعين علي فهم النص وهذا يعني أن تأليف كتاب أسرار البلاغة كان بعد دلائل الإعجاز والدليل علي ذلك هو ما يجري في كلامه من دقة و استيعاب وضبط واحكام، ولما ينشر فيه من آراء نفسية لاعهد لنا بها في الدلائل، وكأنما له أداته في تصوير دقائق التراكيب البلاغية و أثرها في النفوس و زيادة الي هذا آرائه في الأسرار أدق وأوضح منها في الدلائل،مما يؤكد أنه صنعه بعده" (صالح، ٢٠٠٧م،ص١١)

نحا عبدالقاهر منحي نفسياً في دراسة الأسلوب زيادة علي المنحي اللغوي والنحوي الذي يضبط قوانين الكلام وحظي الذوق والحالة النفسية باهتمام عبدالقاهر وكان المعني ركيزة اعتمد عليها للتعبير عن آرائه .

**نفسية المتلقي**

نحا عبدالقاهر منحي نفسياً في منهجه حين اهتم بنفسية المتلقي اهتماما كبيرا وحاول صياغة المعني بأسلوب متميز يترك أثرا واضحا في نفسه من خلال تركيزه علي اختيار المعني.

كتاب دلائل الاعجاز كما يفهم من عنوانه هو محاولة من عبدالقاهر لإثبات إعجاز القران الكريم ومناقشاته حول نظرية اللفظ و المعني و نظريته الخاصة المعروفة «نظرية النظم» والاتيان بالشواهد القرآنية و الشعرية في هذا الصدد، فحاول عبدالقاهر أن يضع قواعد فنية للبلاغة و الجمال الفني في هذا الكتاب كما حاول أن يضع قواعد نفسية للبلاغة في كتابه «أسرار البلاغة». تأثر عبدالقاهر في منهجه بالفلسفة الإغريقية و بالمنطق، ولكن علي منحي مخالف لمنحي قدامة فقد كان له من ذوقه الأدبي خير عاصم ولهذا بقي في دائرة المنهج الفني في دلائل الإعجاز، و دخل بكتاب «أسرار البلاغة» في المنهج النفسي، فقد اتجه فيه إلي إقامة البلاغة علي أسس نفسية مع عدم خلوه من آثار المنهج الفني. (عتيق، ١٩٧٢م:ص ٢٨٥)

" المنهج النفسي هو محاولة لتفسير الأدب علي أساس نفسي وتجدر الإشارة من البدء إلي أن علماء النفس أو التحليل النفسي لم يقصدوا أولا إلي إيجاد منهج نفسي للنقد الأدبي وكل ماكان منهم أنهم رأوا أن العمل الفني صورة من صور التعبير عن النفس وعلي هذا الأساس درسوه حتي لايدعوا ثغرة في بناء مذهبهم" (عتيق، ١٩٧٢م:ص ٢٩٥)

نستطيع أن نجد الملاحظات النفسية في أبواب و أقسام علم البلاغة العربية كالمعاني و البيان و البديع و بعض الأصول و القواعد الموجودة في علم البلاغة لأن القدماء يعرّفون البلاغة بأنها مطابقة الكلام لمقتضي الحال مع فصاحته و يشرحون هذا المقتضي بأنه الاعتبار المناسب الذي يلاحظ و يتحدثون عن انكار السامع لما يلقي اليه أو موافقته عليه أو خلو ذهنه و يفرقون بين الذكي والغبي والمعاند كما يتكلمون عن رغبات المتكلم واتجاه نفسه لما يحدث عنه من حب أو كره و تلذذ و تألم، و ما لكل ذلك من أثر في القول. " ومن الممكن أن يكون علم النفس معيناً للناقد إذا عرف حدود استخدامه في مجال النقد والحدود المأمونة في ذلك أن يكون المنهج النفسي أوسع من علم النفس و أن يظل مع هذا مساعداً للمنهج الفني والمنهج التاريخي و أن يقف عند حدود الظن و الترجيح و أن يجتنب الجرم والقطع." (المصدر السابق:ص ٢٩٧)

## التطبيق المنهجي في نماذج من كتاب أسرار البلاغة

نستطيع أن نقول إن عبد القاهر بعد أن انتهى من كتابه دلائل الإعجاز الذي تحدث فيه حول المعنى، حاول " أن يخصص كتاباً لدراسة "معنى المعنى" فكان من ذلك كتابه أسرار البلاغة.

التحليل للنماذج من الزاوية الجمالية ميزة متفردة عند عبد القاهر وهذا الكتاب الثاني ربما كان أدق كتاب باللغة العربية في الحديث عن ضروب البيان، وفيه من التفسيرات الجمالية ما يدل على ذوق نقدي أصيل، وربما كان عيب الكتب التي اعتمدت عليه في البلاغة من بعد أنها جردته من تلك المسحة الجمالية، وجعلت قواعده أحكاماً صارمة، ليس فيها إحساس الناقد الأصيل، ولا قوة التعليل الذوقي أو الفكري، فهنا يدرس الجرجاني التشبيه والتمثيل والاستعارة وهو يلمح دائماً أن " معنى المعنى " يقوم على مستويات متفاوتة في الدلالة والتأثير معاً، بنظرة عميقة شاملة تدل على عمق نفسي فكري في آن، وحسبنا أمثلة منه ذات صلة وثيقة بالمنهج النقدي. (عباس، ١٩٨٣م: ص٤٢٩)

كيف يكون الناقد الجمالي عقلانياً؟ وليس من تناقض بين وصف الجرجاني بالعقلانية وانه ناقد جمالي، فهو يتخذ منهجاً عقلياً في إدراك " أسرار " القول البليغ، ولكن منهجه العقلي يختلف عن النقاد العقلانيين الآخرين مثل قدامة، أن قدامة اهتم بالشكل المنطقي في تركيب منهجه وتقسيماته، وليس الأمر دائماً كذلك عند الجرجاني، فان هذا اعتمد فكره في النفاذ إلى بواطن الأمور، فكانت " عقلانيته نوعاً من الذكاء الخصب المقترن بإحساس فني دقيق بمواطن الجمال في فن القول، ولم يهتم كثيراً بالمبنى المنطقي الذي وضعه قدامة. ومن هذا الموقف استطاع الجرجاني أن يصحح كثيراً من الآراء النقدية التي سبقت عصره، بل لعله لم يقصد عامداً إلى إقامة نظرة نقدية جديدة وإنما كان موقفه من محاكمة الآراء السابقة هو الشيء الجديد في منهجه النقدي، وهو بذلك يختلف عن القاضي الجرجاني الذي جعل النظرات السابقة متكأً له، ويشابه المرزوقي الذي لجا في نقده إلى إعادة تفسير النظرات السابقة، مع فرق أصيل بين الرجلين، وهو ان المواقف النقدية لدى عبد القاهر إنما جاءت صدى لنظراته البلاغية، لا غاية في نفسها. (عباس، ١٩٨٣م: ص٤٠٦)

فإن الجرجاني الناقد جعل الشعر مربوطاً بالعقل، من جهة المعاني حتى في حالة التخييل، وبذلك قصر التخييل على الحيل العقلية في رفع درجة الشعر المخيل إلى درجة المعقول؛ ومن ثم كان التلذذ الناشئ عن تذوق الشعر لديه أمراً عقلياً .

"إذا استقريت التشبيهات، وجدتَ التباعد بين الشيئين كلما كان أشدَّ، كانت إلى النفوس أعجب، وكانت النفوسُ لها أطرب، وكان مكانُها إلى أن تُحدث الأريحيّة أقرب، وذلك أن موضعَ الاستحسان، ومكانَ الاستظراف، والمُثيرَ للدفين من الارتياح، والمتألِّفَ للنافر من المَسرة "(عبدالقاهر الجرجاني،٢٠٠٩م: ص٨١) وهذه النظرية التأثيرية في جودة الأدب جزء من تفكير سيكلوجي أعمّ يطبع كتاب الأسرار كله بطابعه. فالمؤلف لايفتأ يدعوك بين لحظة وأخري إلي تجربة الطريقة النفسانية التي يسميها المحدثون الفحص الباطني وذلك أن تقرأ الشعر و تراقب نفسك عند قراءته وبعدها و تتأمل مايعروك من الهزة والارتياح والطرب والاستحسان وتحاول أن تفكر في مصادر هذا الاحساس" (عتيق، ١٩٧٢م:ص ٣٠٥)

يعبر عبدالقاهر عن إحدي نظرياته النفسية في قوله: "إذا رأيت البصير بجواهر الكلام يستحسن شعرا أو يستجيد نثرا، ثم يجعل الثناء عليه من حيث اللفظ فيقول: حلو رشيق، و

حسن أنيق، و عذب سائغ، و خلوب رائع، فاعلم أنّه ليس ينبئك عن أحوال ترجع إلي أجراس الحروف، و إلي ظاهر الوضع اللغوي، بل إلي أمر يقع من المرء في فؤاده، و فضل يقتدحه العقل من زناده"(عبدالقاهر الجرجاني،٢٠٠٩م: ص٦) المراد من البصير في قول عبدالقاهر هو الناقد الأدبي و يعتقد عبدالقادر بأن الناقد إذا يستحسن شعرا أو يستجيد نثرا في مقام النقد يعبر عن شعوره ببعض الكلمات المذكورة في النص ينبئنا عن حالته النفسية و يعتبر نقده نقدا نفسيا.

**التجنيس**

يستهل الكتاب بالحديث عن الجناس والسجع محاولا أن يثبت أن الجمال فيهما لايرجع إلي جرس الحروف وظاهر الوضع اللغوي وإنما يرجع الي مسائل معنوية من شأنها أن ترضي العقل و بمقدار هذا الرضا يكون جمال الجناس.

في التجنيس يركز عبدالقاهر علي ترتيب المعاني في النفس قبل أن تكون ألفاظ منسقة و منتظمة في نطق اللفظتين" أما التجنيس؛ فإنك لا تستحسن تجانس اللفظتين إلا إذا كان موقع معنييهما من العقل موقعا حميدا، و لم يكن مرمي الجامع بينهما مرمي بعيدا، أتراك استضعفت تجنيس أبي تمام في قوله:

ذَهَبَــت بمُذْهَبَــهِ السَّــمَاحَةُ فَــالْتَوت  فِيــهِ الظُّنُــونُ: أَمَــذْهَبٌ أم مُــذْهَبُ[١]

واستحسنتَ تجنيس القائل : " حتى نَجَا من جوفِه وَمَا نَجا[٢]

لأمرٍ يرجع إلى اللفظ؟ أم لأنك رأيتَ الفائدة ضَعُفَت عن الأوّل وقويت في الثاني؟ ورأيْتَك لم يزدك بمَذْهب ومُذهب على أن أَسْمَعَكَ حروفاً مكررةً، تروم فائدة فلا تجدُها إلا مجهولةً منكرةً، ورأيتَ الآخر قد أعَادَ عليك اللفظةَ كأنه يخدعُك عن الفائدة وقد أعطاها، ويوهمك كأنه لم يَزِدْك وقد أحسن الزيادة ووفَّاها، فبهذه السريرة صار التجنيس - وخصوصاً المستوفَى منه المُتَّفَقَ في الصورة - من حُلَى الشّعر، ومذكوراً في أقسام البديع." (عبدالقاهر الجرجاني،٢٠٠٩م: ص٨و٩) يعتقد عبدالقاهر في تجانس اللفظتين بأن يعود الفضل الي استحسان المعاني من العقل و موقع معنييهما من الفكرة وأن المعاني لاتدين في كل موضع والألفاظ خدم المعاني والمصرفة في حكمها. لذلك نستنتج من كلام عبدالقاهر بأن حسن التجانس وجماله لايرجع الي اللفظ بل يعود الي تذوق العقل وارتياحه، فاذا

حصل ذلك يكون التجانس قد أخذ من العقل منزلة حميدة، وبذلك يعتبر زينة وجمالاً للكلام.

قد لاقت دراسة الجرجاني حول الأهمية الأسلوبية والنفسية للاستعارة قبولاً واسع النطاق من الباحثين ولا تزال مصدراً للمناقشة والبحث في علم اللغويات الحديث.

"الاستعارة، فهي ضربٌ من التشبيه، ونَمَطٌ من التمثيل، والتشبيه قياس، والقياس يجري فيما تعيه القلوب، وتُدركه العقول، وتُسْتَفتَى فيه الأفهامُ والأذهان، لا الأسماع والآذان،راجعْ فكرتَك، واشْحَذْ بصيرتَك، وأحسنِ التأمُّل، ودع عنك التجوُّز في الرأي، ثم انظر هل تجدُ لاستحسانهم وحَمْدهم وثَنائهم ومَدحهم مُنْصَرَفاً، إلاّ إلى استعارةٍ وقعت موقعَها، وأصابت غَرَضها، أو حُسن ترتيب تكاملَ معه البيانُ حتى وصلَ المعنى إلى القلب مع وصول اللفظ إلى السمع، واستقرَّ في الفهم مع وقوع العبارة في الأذن." (عبدالقاهر الجرجاني،٢٠٠٩م: ص١٧) نستنتج من نقد عبدالقاهر في جمال الاستعارة إنما يظهر في الفكر والتعقل، لذلك تلتذ بها النفس وترتاح اليها عند وصول معناها إلي القلب بواسطة سماع لفظها والتأمل في معناها فتأنس النفس بها وتنفعل لها وتتلقاها بالقبول الحسن والمدح الجميل. ووضع الجرجاني كتابه "أسرار البلاغة" لدراسة معنى المعنى، حيث درس التشبيه والتمثيل والاستعارة، وألمح الى أن "معنى المعنى" يقوم على مستويات متفاوتة في الدلالة والتأثير معاً، وكانت له وقفته النقدية حين تحدّث عن التناوب بين المكني والصريح وضرورة إعلاء شأن قوة التمثيل من الزاوية العقلية بغية الوصول إلى اللذة النفسية في تتبع صور الجمال.

"القول في الاستعارة المفيدة :اعلم أنّ الاستعارة في الحقيقة هي هذا الضرب دون الأول، وهي أمَدُّ ميداناً، وأشدُّ افتناناً، وأكثر جرياناً، وأعجب حسناً وإحساناً، وأوسعُ سعَةً وأبعد غَوْراً، وأذهبُ نَجْداً في الصِّناعة وغَوْراً، من أن تُجمعَ شُعَبها وشُعُوبها، وتُحصَر فنونها وضروبها، نعم، وأسحَرُ سِحْراً، وأملأ بكل ما يملأ صَدْراً، ويُمتع عقلاً، ويُؤْنِس نفساً، ويوفر أُنْساً، .....وهي أجلُّ من أن تأتيَ الصفةُ على حقيقة حالها، وتستوفيَ جملةَ جمالها" (عبدالقاهر الجرجاني،٢٠٠٩م: ص٣٠)

إن من الاستعارة ما لايدرك جماله المؤثر في النفوس إلا أصحاب الفكر النافذ والطباع السليمة والنفوس المستعدة لادراكها الذين يملؤ نفوسهم الإعجاب والانبهار عند ادارك لطافتها وظرافتها. فتستقطب النفوس وتجذبها الي الأنس بها.

عندما يتحدث عبدالقاهر عن الضرب الثالث من الاستعارة، يعرفها بأنها "الصَّميم الخالص من الاستعارة، وحدُّه أن يكون الشبَهُ مأخوذاً من الصُّور العقلية" و حينما ينقد و يرجح بين أنواع الإستعارة يقول: " واعلم أن هذا الضرب هو المنزلةُ التي تبلغ عِندها الاستعارة غاية شرفها، ويتسع لها كيف شاءت المجال في تفنُّنها وتصرُّفها، وها هنا تَخْلُص لطيفةً روحانية، فلا يبصرها إلا ذوو الأذهان الصافية، والعقول النافذة، والطباع السليمة، والنفوس المستعدَّة لأن تَعِيَ الحكمةَ، وتعرف فَصْل الخطاب" فشأنه هنا شأنا علماء النفس الذين يحاولون أن يصفوا ويقيموا الكلام باعتبار تأثيراته العقلية والنفسية فيتضح لنا أن معيار عبدالقاهر في تحديد منزلة الإستعارة البلاغية نفسي و جمالي و العقل والقلب هما اللذان يحددان قيمة الإستعارة.

"واعلم أنّ مما اتفق العقلاءُ عليه، أن التمثيل إذا جاءَ في أعقاب المعاني، أو بَرَزَتْ هي باختصار في مَعرِضه، ونُقلت عن صُوَرها الأصلية إلى صورته، كساها أُبَّهةً، وكَسَبها مَنْقَبةً، ورفع من أقدارها، وشَبَّ من نارها، وضاعف قُواها في تحريك النُّفوس لها، ودعا القُلوب إليها، واستثار لها من أقاصي الأفئدة صبابةً وكلَفاً، وقَسَر الطِّباع على أن تُعطيها محبّة وشَغَفاً، فإن كان مدحاً، كان أبْهَى وأفخم، وأنبلَ في النفوسَ وأعظم، وأهزَّ للعِطْف، وأسْرع للإلف، وأجلب للفَرح، وأغلب على المُمْتَدَح، وأوجب شفاعة للمادح، وأقضى له بغُرِّ المواهب المنائح، وأسْيَر على الألسن وأذكرَ، وأولى بأن تَعْلَقه القلوب وأجدر، .....هكذا الحُكْم إذا استقريتَ فنُونَ القول وضروبَهُ." (عبدالقاهر الجرجاني،٢٠٠٩م: ص٧٧)

قد نذهب إلى الظن بان الجرجاني حين قرن التمثيل بقوة إيراد الشاهد الحي بعد وضع الحكم العقلي إنما يرى أن هذه هي السبيل الضرورية أمام الشاعر، ولكن هذا الظن ما يلبث أن يزول حين نعود فنجد الجرجاني هو ذلك الناقد " العقلاني " الذي يرفع دائماً من قيمة " الفكرة " ويرى الاهتداء إليها من أهم ضروب اللذة النفسية في تتبع صور الجمال؛ فالتمثيل

الذي يحوج القارئ إلى طلب معناه بالفكرة ويحرك الهمة والخاطر لطلبه لا يقل إمتاعاً عن التمثيل الذي ينتقل بالقارئ من منطقة العقل إلى منطقة الحس. (عباس، ١٩٨٣م: ص٣١٦)

"فأما القولُ في العلّة والسبب، لِمَ كان للتمثيل هذا التأثير؛ وبيان جهته ومأتاه، وما الذي أوجبه واقتضاه، فغيرها، وإذا بحثنا عن ذلك، وجدنا له أسباباً وعِلَلاً، كلٌّ منها يقتضي أن يَفخُمَ المعنى بالتمثيل، وينبُلَ ويَشرُفَ ويكمل، فأوَّلُ ذلك وأظهره، أنّ أُنْس النفوس موقوفٌ على أن تُخرجها من خفيٍّ إلى جليٍّ، وتأتيها بصريح بعد مكنىٍّ، وأن تردَّها في الشيء تُعلِّمها إياه إلى شيء آخر هي بشأنه أعلم، وثقتُها به في المعرفة أحكم نحو أن تنقُلها عن العقل إلى الإحساس وعما يُعلَم بالفكر إلى ما يُعلم بالاضطرار والطبع، لأن العلم المستفادَ من طرق الحواسِّ أو المركوز فيها من جهة الطبع وعلى حدِّ الضرورة." (عبدالقاهر الجرجاني،٢٠٠٩م: ص٧٤)

إن من أسباب التأثير السحري للتمثيل في النفوس هو أنه يخرج النفوس من خفيّ الي جلّي، ويقدم لها العبارة الصريحة تفسيراً للعبارة المبهمة فينقلها بعد الفكر والتعقل والتأمل الي المشاعر والاحساسات النفسية توطيداً للمعني وتثبيتاً له. وبذلك يتضح أن للنفس وعواملها دوراً هاماً في تذوق المعاني البلاغية ونقدها نقداً نفسياً.

**نتائج الدراسة :**

**النتائج التي وصلنا اليها من خلال هذه الدراسة فهي:**

- وضع عبدالقاهر قواعد نفسية للبلاغة في كتابه «أسرار البلاغة».
- منهج عبدالقاهر النقدي في أسرار البلاغة هو منهج نفسي ولكن ليس بمعناه العصري الحديث.
- مقياس الجودة الأدبية في نقد عبدالقاهر هو تأثير الصور البيانية في نفس متذوقها.
- نظرية عبدالقاهر قائمة علي مكانة الذوق والطبع والحس الفني في المتعة الأدبية.
- كان النقد نقداً بلاغياً، والبلاغة بلاغة نقدية فاذا كان النقد هو الجانب التطبيقي للنص الأدبي فإن البلاغة هي الأساس النظري له.
- إن النقد كان حكما علي الكلمة البليغة أطلقه سامع متذوق.
- يرجع الاعتبارات النقدية المختلفة إلي أسس عامة في نظم الكلام وتأثيره في النفوس.

**توصيات الدراسة:**

هذا وقد أوصت الدراسة بالتالي:

- دراسة كتاب أسرار البلاغة ومسائله النقدية وعدم الإكتفاء بالدراسات السابقة التي تناولت آراء عبدالقاهر؛ وذلك لأنّ مجال الدراسات النقدية الدقيقة فيما يخص آراء عبدالقاهر لازال واسعاً لأن البلاغة من أعظم العلوم و أهمها فهو المفتاح لفهم القرآن الكريم والمصلح لما فسد من اللسان العربي السليم.
- إثراء المكتبة العربية ببحوث عميقة تتعلق بآراء عبدالقاهر النقدية.
- يجب أن ينهل جميع الدارسين والباحثين في الدراسات الغوية الحديثة من معين كتاب أسرار البلاغة الذي لاينضب أبداً.
- الإعتزاز بدور عبدالقاهر الجرجاني وكتابه أسرار البلاغة ومساهمته في تكوين وتطور علوم اللغة العربية قديماً وحديثاً.

## هوامش البحث

١ - أن السماحة قد غلبت عليه واستولت علي شمائله وسجاياه فهو يفرط فيها و يشرف في لزومها حتي قيل علي طريق التشكك هذا خلق ومذهب أم جنون ومُذهب؟

٢ - نجا السهم من جوف العير وما نجا العير من الرمية بالمنية.

## قائمة المصادر والمراجع

**أولا – الكتب المطبوعة :**

١. الجرجاني، عبدالقاهر.(٢٠٠٩م.). أسرار البلاغة. بيروت: دار احياء التراث العربي.
٢. الجرجاني، عبدالقاهر.(٢٠٠٩م.). دلائل الاعجاز. بيروت: دار الكتب العلميه.
٣. الجرجاني، علي بن عبد العزيز.(١٩٦٦م). الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم علي محمد البجاوي، الناشر: عيسى البابي الحلبي.
٤. الجيلالي، حلام. (٢٠٠٤م). المناهج النقدية المعاصرة. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٥. خلف الله، محمد.(١٩٤٧م). دراسات في الأدب الإسلامي. الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر.
٦. خلف الله، محمد.(١٩٧٠م). من الوجهة النفسية في دراسة الادب ونقده. القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية.

٧. الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (١٤٢٣ق). الشعر والشعراء . القاهرة: دار الحديث.
٨. سلطان، نوال عبد الرزاق.(٢٠٠٨م). العلاقة بين البلاغة والنقد حتى نهاية القرن الرابع الهجري. دمشق: دار البشائر للطباعة والنشر.
٩. طبانة، بدوي. (١٩٦٩م). قدامة بن جعفر والنقد الأدبي. الطبعة الثالثة. مكتبة الأنجلو المصرية.
١٠. عباس، احسان.(١٩٨٣م). تاريخ النقد الأدبي عند العرب. بيروت: دار الثقافة.
١١. عتيق، عبدالعزيز. (١٩٧٢م). في النقد الأدبي. بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر.
١٢. الكواز،محمد كريم.(٢٠٠٩م.). البلاغة والنقد؛ المصطلح والنشأة والتجديد. القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.
١٣. العلوي، موید، يحيي بن حمزه.(١٤٢٩ق). الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز. بيروت: المكتبه العصريه.
١٤. الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (٢٠٠٧م). أدب الدنيا والدين. تحقيق: محمد كريم راجح. القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر.
١٥. مناع، هاشم صالح.(١٩٩٤م). بدايات في النقد الأدبي. بيروت: دار الفكر العربي.

**ثانيا ـ المجلات والدوريات :**

١٦. محمص، عبدالجواد.(١٤١٩ه.) المنهج النفسي في النقد، دراسة تطبيقية على شعر أبو الوفا. مجلة الحرس الوطني. السنة ١٦، العدد ١٥٥.ص٨٨.